جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الانسجام وبلاغته في حديث
«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»

إعداد

د/ عبدالرحيم إبراهيم عبدالرحيم محمد الخطيب

مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنين بقنا

(العدد الثامن والثلاثون)

(الإصدار الثالث .. أغسطس)

(١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الانسجام وبلاغته في حديث «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي».

عبدالرحيم إبراهيم عبدالرحيم محمد الخطيب.
قسم البلاغة والنقد، في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: AbdelRahimMohamed.4119@azhar.edu.eg

الملخص:
أثبت الحديث الشريف – محل الدراسة– انسجامًا فريدًا يشبه النسيج المحكم الذي تتداخل خيوطه لتشكل لوحة كاملة تجمع بين جمال التعبير وعمق المضمون، فتؤثر في العقل والقلب معًا، وترسخ حقائق التوحيد والشريعة بأسلوب لا يجارى، وقد تميز الحديث القدسي: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي" بانسجام بلاغي كامل يجمع بين الوحدة الموضوعية، والتناسق اللفظي، والعمق العاطفي، والإحكام التركيبي، فهو بحق بلاغة إلهية، وقد تم بناء البحث في مقدمة وتمهيد، ومبحثين، ثم الخاتمة، وفهارس لازمة، تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته، وقد تضمن التمهيد، تعريف الانسجام لغة واصطلاحًا، وأصالته في الدرس البلاغي، والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، ثم فضل الحديث محل الدراسة، وفوائده، فهو من الأربعين النووية التي عم فضلها، وقد اعتمدت على رواية الإمام مسلم؛ لصحة سندها، وتوافر انسجامها، وتدفق معانيها، وذكرت في المبحث الأول: الانسجام وهدفه في البيان النبوي الشريف، وأنه من جوامع الكلم، وذكرت في المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية، الانسجام وبلاغته في حديث " يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي "، وكيف استخدم رسول الله– صلى الله عليه وسلم– الانسجام البلاغي، فتدفقت المعاني وفارت كفوران الماء من العيون، دون صنعة أو تكلف، ثم الخاتمة، ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ومن أهمها: أن الانسجام البلاغي هو أحد أهم أسس جودة النص وفاعليته البلاغية، وقد تحقق التناسق والتآلف بين جميع عناصر النص الشريف، ومستوياته اللغوية، والفكرية، والجمالية؛ لغرض تواصلي واحد، وإحداث الأثر المنشود في المتلقي.

الكلمات المفتاحية: الانسجام، بلاغته، حرمت، الظلم، على نفسي.

Harmony and its Rhetoric in the Hadith "O My servants, I have forbidden injustice for Myself"

Abdel Rahim Ibrahim Abdel Rahim Muhammad al-Khatib.
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Qena, Al-Azhar University, Egypt.
Email: AbdelRahimMohamed.4119@azhar.edu.eg

Abstract:
The noble hadiths under study demonstrate a unique harmony, resembling a tightly woven fabric whose threads intertwine to form a complete canvas that combines beautiful expression with profound content. This impacts both the mind and heart, and reinforces the truths of monotheism and Islamic law in an unparalleled manner, The Holy Hadith, "O My servants, I have forbidden injustice for Myself," is distinguished by its complete rhetorical harmony, combining thematic unity, verbal consistency, emotional depth, and structural perfection. It is truly divine eloquence, The research was built on an introduction, a preface, two chapters, a conclusion, and necessary indexes. In the introduction, I talked about the importance of the topic, the reasons for choosing it, the objectives of the study, previous studies, the research methodology, and its plan. The preface included a definition of harmony in language and terminology, its originality in rhetorical studies, and the relationship between linguistic and terminological meaning. Then I mentioned the merits of the hadith under study and its benefits. It is one of the Forty Hadith of Nawawi, whose merits are widespread. I relied on the narration of Imam Muslim due to the authenticity of its chain of transmission, the abundance of its coherence, and the flow of its meanings.
In the first section, I mentioned harmony and its purpose in the noble prophetic statement, and that it is one of the most comprehensive words. In the second section, I mentioned the applied study, harmony and its eloquence in the hadith, "O My servants, I have forbidden injustice for Myself," and how the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, used rhetorical harmony, so that the meanings flowed and overflowed like water from springs, without artifice or affectation, Then the conclusion, in which I mentioned the most important results reached by the research, the most important of which is that rhetorical coherence is one of the most important foundations of the quality of the text and its rhetorical effectiveness, and harmony and coherence have been achieved between all the elements of the noble text, and its linguistic, intellectual, and aesthetic levels; for one communicative purpose, and to create the desired effect on the recipient.

Keywords: Harmony, Eloquence, I forbade injustice to myself.

المقــدمة

الحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة.

أما بعـــد ؛؛؛

فإنني أعترف بنعمة الله سبحانه عليّ؛ لأنه هداني لهذا الموضوع، فقد أحسست بالشرف العظيم وأنا أدرس جانبًا من جوانب البيان النبوي الشريف، وغمرتني المتعة والاستفادة في كل كلمة نطق بها الصادق المصدوق عن ربه سبحانه، فزادني الأمر تشريفًا لأرى البحث في تمامه وصورته النهائية.

وقد اطلعت على كم ـ ليس بالقليل ـ من الدراسات البلاغية، حتى وجدت ضالتي في ثنايا الحديث القدسي، فلاحظت روعة البيان وسحره، وانحدار المعاني وتلاحمها، فجاء العنوان بـ "**الانسجام وبلاغته في حديث: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**"، والانسجام البلاغي، يقصد به التناسق والتآلف بين جميع عناصر النص ومستوياته اللغوية، والفكرية، والجمالية؛ لتحقيق غرض تواصلي واحد، وإحداث الأثر المنشود عند المتلقي، دون صنعة أو تكلف، والقرآن الكريم، والبيان النبوي الشريف يبعدان كل البعد عن الصنعة والتكلف.

ودراسة هذا البحث تقتصر على الحديث القدسي: "**ياعبادي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي** " دراسة تطبيقية للانسجام وبلاغته في البيان الشريف، وفي جانب محدد يتعلق به، ولا يخفى على ذي علم أن الدراسات التطبيقية التحليلية من الأهمية بمكان في الدرس البلاغي، فهي تفيد من الدراسات النظرية، وتنطلق منها، ولا تقف عند حدها.

وتظهر أهمية هذا البحث بأنه أكثر من مجرد اتصال الجمل بواسطة أدوات الربط (الاتساق النحوي)، فهو يتعلق بـ :

- ترابط الأفكار الرئيسية والفرعية بشكل منطقي ومتسلسل، وعدم وجود تناقض أو تشتيت.

- استخدام لغة وأساليب متجانسة، تناسب الغرض من النص، وسياقه (إقناع، تلطف، إمتاع، زمان، مكان ...إلخ).
- تناسق الصور البلاغية والبديعية؛ لخدمة الفكرة دون تكلف أو تعارض.
- تناسق الإيقاع العام (صوتي، فواصل)؛ لتعزيز المعنى والجمال.

فالانسجام البلاغي، يجعل الرسالة واضحة، ومقنعة، وسهلة المتابعة لدى السامع، فجمال الصبغة ـ دون تكلف أو صنعة ـ يمنح النص تماسكًا جماليًا، وقوة تأثيرية كبيرة، كما أن صدق التعبير ووضوح الفكرة يمنع التشتت، وينبه السامع نحو الهدف الرئيس.

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع :

١- أن الانسجام لم يأخذ حقه في الدراسات البلاغية رغم أصالته، وتميز القرآن الكريم، والبيان النبوي الشريف به، فقد أشاد البلاغيون بالانسجام في البيان القرآني، والبيان النبوي.

٢- أثر حديث " **يَا عِبَادِي** إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي"، وأهميته، وكثرة فوائده، فهو أحد أحاديث الأربعين النووية التي لا يخفى فضلها.

٣- الإفادة من دراسة الانسجام دراسة تطبيقية من خلال النظر في الحديث القدسي، وهذه هي الإفادة الحقيقية والثمرة المرجوة من جهود علمائنا في هذه المجال، وتوظيف ذلك في كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه عن ربه.

٤- الانسجام البلاغي يتعلق بنص واحد متكامل في خصائصه البلاغية والأسلوبية والموضوعية، فالحديث الشريف كالسورة القرآنية، له خصائصه ومميزاته، ومحدد المعالم بداية ونهاية.

٥- الانسجام في الحديث الشريف، يحقق الإقناع والتأثير، فهو يقدم حجج مترابطة منطقيًا تدعم الفكرة الرئيسة، فقد استخدم لغة واضحة ومنطقية، تساعد على وصول الهدف إلى المتلقي بطريقة سهلة وسريعة.

٦- الانسجام البلاغي هو روح النص الناجح، وهو الفن الذي يجعل كل كلمة

وجملة، وكل صورة، وكل عاطفة تعمل معًا بتناغم كآلات الطرب لإنتاج لحن واحد مؤثر يحقق الغاية المرجوة لدى المتلقي، فبدون الانسجام يكون النص ميتًا، يتحول إلى أجزاء مفقودة تفقد قوتها وتأثيرها، والبيان النبوي الشريف يبعد عن هذا.

هذا، وتتجلى أهداف الدراسة والغرض منها إلى أمور من أهمها:

١- بيان المراد من الانسجام والوقوف عنده وأصالته في الدرس البلاغي، والانطلاق من القاعدة البلاغية.

٢- بيان أهمية حديث " **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي** "، ومكانته في الإسلام، وحاجة المسلمين إلى التحلي بفضائله، وربط هذه الأهمية وتطبيقها على الانسجام البلاغي.

٣- الكشف عن مميزات حديث " **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي** "، وترابط أجزائه، وتلاحم بعضها ببعض، وانحدار المعاني من الألفاظ كانحدار الماء من السحاب، والدمع من العين، وهذا يؤكد ترابط المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي للانسجام.

٤- إظهار المعاني والأسرار البلاغية، وطريقة أدائها من البيان النبوي الشريف، والاستفادة منها على أرض الواقع.

٥- حديث " **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي** " يمثل انسجامًا بلاغيًا عميقًا يجمع بين الدقة البلاغية، والقوة التعبيرية، والتناسق الفكري، والعاطفي، مما يسهم ويعزز التأثير في السامع، ويجسد الحكمة الإلهية في الصيغة.

الدراسات السابقة:

لم أجد ـ فيما أعلم ـ دراسة اختصت بدراسة الانسجام وبلاغته في حديث "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي "، ولكن وُجدت دراسات مشابهة:

- بلاغة الانسجام في حديث "إن الحلال بين وإن الحرام بين"، بحث ترقية، لـ (للعمار، فهد بن محمد بن فهد، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنوفية،

العدد (٣٧)، المجلد (١)، الصفحات (١٤٨ ـ ٢١٠)، رقم (١٣٠٤٨٨٣)، سنة ٢٠٢٢م.

- من قضايا توحيد الخالق جل وعلا في الحديث القدسي "" **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي** "" دراسة تحليلية، تأليف/الميداني، محمد بن عبدالرحمن حسن حبنكة، المصدر فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث، المجلد (٨٣)، الصفحات (١١٣ ـ ١٧٩)، رقم (٦٦١٣٦٨)، سنة ٢٠١٤م.

وقد اتضح الفرق بين الدراسات السابقة، وموضوع البحث، فلم يدرس أحد منها الانسجام وبلاغته في حديث " يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي "، ومدى ترابط المعاني وتلاحم بعضها ببعض فيما أراده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه عن ربه.

منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على الاستنباط والتحليل وفق إجراءات أهمها:

- الاعتماد على رواية الإمام مسلم؛ لكونها أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وبعد صحيح الإمام البخاري.
- قراءة وتأمل الانسجام في الحديث محل الدراسة، وتقسيم الجمل والعبارات إلى مقامات جزئية؛ حتى يسهل فهم وتحقيق بلاغة الانسجام، ومدى ترابط العبارات والجمل بعضها ببعض.
- تحليل الجمل تحليلًا بلاغيًا، يسهم في الكشف عن بلاغة الانسجام، ومراد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه عن ربه.
- التأمل في التناسق (الهيكلي، العاطفي، الصوتي، الدلالي، العقائدي)، وتوظيف ذلك مع دور الانسجام وبلاغته فيما أراده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما أخبر به عن ربه.
- التأمل في الوحدة الموضوعية للبيان الشريف، ومدى احتياج كل كلمة إلى

أخرى في خدمة فكرة معينة، تترابط وتتدفق معانيها وتنحدر كانحدار الماء ونزوله من السحاب.

خطة البحث

جاء البحث في مقدمة وتمهيد، ومبحثين، ثم الخاتمة، والفهارس.

تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

وقد تضمن التمهيد الآتي:

أولًا: تعريف الانسجام وبلاغته.

ثانيًا: فضل حديث " **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**".

المبحث الأول: الانسجام وهدفه في البيان النبوي الشريف.

المبحث الثاني: الانسجام وبلاغته في حديث " يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي".

ثم الخاتمة، ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وبعض التوصيات العلمية.

وبعد فهذه هي أهداف البحث، وغايته، فإن كان من توفيق، فهو من الله، وإن كان من تقصير أو سهو أو نسيان، فهو مني ومن الشيطان، والله أسأل التوفيق، والهداية، والإخلاص، والقبول، والستر في الدنيا والآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى أبويه إبراهيم وإسماعيل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

الراجي عفو ربه

عبدالرحيم إبراهيم عبدالرحيم محمد الخطيب.

التمهيـد

أولًا: تعريف الانسجام وبلاغته:

الانسجام لغة: صب الشيء، يقال: " سَجَمَتِ العينُ تَسجُم سُجُومًا وهو قطران الدَّمع قلَّ أو كثُرَ، وكذلك المطرُ "[١]، فـ " السِّينُ وَالْجِيمُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ صَبُّ الشَّيْءِ مِنَ الْمَاءِ، وَالدَّمْعِ، يُقَالُ: سَجَمَتِ الْعَيْنُ دَمْعَهَا، وَعَيْنٌ سَجُومٌ، وَدَمْعٌ مَسْجُومٌ، وَيُقَالُ: أَرْضٌ مَسْجُومَةٌ: مَمْطُورَةٌ"[٢]، ويقال: " انْسَجَمَ الماءُ وَالدَّمْعُ، فَهُوَ مُنْسَجِمٌ إِذا انْسَجَمَ أَي: انْصَبَّ، وسَجَّمَتِ السَّحَابَةُ مَطَرَهَا تَسْجِيمًا وتَسْجامًا إِذا صَبَّتْه" [٣].

فأصل الانسجام عند اللغويين دل على صب الشيء وانحداره، كسكب الدمع من العين، وصب الماء من السحابة وقت نزول المطر.

واصطلاحًا: قد عرفه بعض البلاغيين كابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤هـ) بقوله: "هو أن يأتي الكلام متحدرًا كتحدر الماء المنسجم، سهولة سبك وعذوبة ألفاظ، حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره، مع خلوه من البديع، وبعده عن التصنيع" [٤].

١- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تح/د مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، مادة (س ج م)، (٥٩/٦)، ط، دار ومكتبة الهلال، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

٢- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس القزويني (ت: ٣٩٥هـ)، تح/عبد السلام محمد هارون، مادة (س ج م)، (١٣٦/٣، ١٣٧)، ط، دار الفكر(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٣- لسان العرب لمحمد بن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، مادة (س ج م)، (٢٨١/١٢)، ط٣، دار صادر ، بيروت (١٤١٤هـ).

٤- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع، تح/د. حفني محمد شرف (ص:٤٢٩)، ط، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المكتبة =

وتعريف ابن أبي الإصبع للانسجام إشارة إلى أصالة هذا الأسلوب في الدرس البلاغي، كما أن تعريفه بخروج الكلام وتدفقه من فم المتكلم متحدرًا كتحدر الماء المنسجم، جاء متوافقًا للتعريف اللغوي لمفهوم (الانسجام)، فالكلام الذي يخرج من البليغ المتمكن يأتي منسجمًا ومرتبًا كانسجام الماء وخريره من السحاب، وسكوب الدمع من العين.

وتظهر بلاغة هذا الأسلوب ـ عند ابن أبي الإصبع ـ في خلوه من البديع وبعده عن التصنع؛ لذا كان له وقع في النفوس وتأثير في القلوب، وما هذا ليحدث لولا سهولة سبكه وعذوبة لفظه.

وعرف الانسجام السيوطي (ت: ٩١١هـ) بقوله:"هو أن يكون الكلام لخلوّه عن العَقَدِةِ متحدّرًا كتحدّر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقّةْ، والقرآن كله كذلك "[1].

والسيوطي ـ رحمه الله ـ وافق التعريف اللغوي للانسجام في كونه يدل على الصب والانحدار، ووافق أيضًا ابن أبي الإصبع في كون الانسجام إذا جاء خاليًا من التكلف والصنعة كان له من التأثير والقبول مالم يكن لغيره.

ولكن السيوطي أفاض وأزاد على مصطلح الانسجام بقوله: (ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقّةْ)، فجملة (يسيل رقة) أظهرت بلاغة هذا الأسلوب البلاغي، فكلما كان الكلام سهلًا عذبًا سال رقة كما يسيل الماء من الغيث، والدمع من العين، فالعبارة حسية تظهر بلاغة هذا الأسلوب إذا وافق متكلمًا بليغًا.

=

الشاملة موافق للمطبوع.

١- معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي (٢٩٢/١)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

وانظر إلى قوله: (والقرآن كله كذلك) تسيل من ألفاظه الرقة والعذوبة، ومن معانيه الموعظة لمن تدبر وكان له قلب.

وذكر السيوطي بلاغة الانسجام في قوله: "وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت فقراته موزونة بلا قصد، لقوة انسجامه" [١]، وعلى هذا كان القرآن الكريم، والبيان النبوي الشريف في مقدمة الانسجام.

وقد جاء الانسجام في الشعر كما ذكر ابن منقذ (ت:٥٨٤) في كتابه (نقد الشعر) في قوله: " اعلم أن باب الانسجام هو: أن يأتي كلام المتكلم شعرًا من غير أن يقصد إليه، وهو يدل على قوة الطبع والغريزة" [٢]، وفي قول ابن منقذ (قوة الطبع والغريزة) إشارة إلى الانسجام وتدفقه، والتقاء بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

وقد مثل ابن منقذ أمثلة من الشعر للدلالة على الانسجام كقول ابن هرمة لبعض الحجاب[٣]:

باللهِ ربكَ، إن دخلتَ فقلْ لهُ ... هذا ابنُ هرمة واقفٌ بالباب

فقول الشاعر يبعد عن الصنعة والتكلف، ويتميز بالسهولة واليسر، وينحدر معناه للسامع كانحدار الماء، وذرف الدمع من العين، وهذا هو الانسجام.

١- المرجع السابق (٢٩٢/١).

٢- البديع في نقد الشعر لأبي المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن منقذ، تح/د. أحمد أحمد بدوي، د. حامد عبد المجيد (ص:١٣١)، ط، الجمهورية العربية المتحدة، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

٣- ينظر: المرجع السابق (ص:١٣١).

ثانيًا: فضل حديث "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي":

البيان النبوي وحي من الله تعالى، وكل رواية بليغة في موطنها وموضعها؛ لذا فسأعتمد في هذه الدراسة على رواية الإمام مسلم، فهو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، وبعد صحيح الإمام البخاري، وقد أحاطت رواية الإمام مسلم بموضوع البحث من جميع جوانبه؛ ولما توافر فيها من الخصائص الموضوعية والأسلوبية، ما جعل موضوع البحث فيه ظاهرًا جليًا، وقد تدفقت المعاني فيه وانحدرت كانحدار الماء من السحاب، وذرفان الدموع من العين.

روى الإمام مسلم بسنده: "عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"[1].

١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ)، تح/محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (١٩٩٤/٤) رقم (٢٥٧٧)، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

هذا، وقد ذكر الإمام النووي (ت:٦٧٦هـ): أن هذا الحديث صحيح، روي في صحيح مسلم وغيره، ورجال إسناده إلى أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ كلهم دمشقيون، ودخل أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ دمشق، فاجتمع في هذا الحديث جمل من الفوائد:

- صحة إسناده ومتنه، وعلوه وتسلسله بالدمشقيين، رضي الله عنهم وبارك فيهم.
- ما اشتمل عليه من البيان لقواعد عظيمة في أصول الدين وفروعه والآداب، ولطائف القلوب وغيرها، ولله الحمد.
- ما روي عن الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ أنه قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث.
- وقد كان أبو إدريس[١] إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه[٢].

هذا، ويعد البيان الشريف ـ محل الدراسة ـ من الأربعين النووية، التي عنى كثير من العلماء بشرحها، ومقاصدها، وأن هذا الحديث من الأحاديث القدسية[٣]،

١- هو: أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله بن عمرو الخولاني ولد عام حنين، يعد في كبار التابعين، كان قاضيا بدمشق بعد فضالة بن عبيد لمعاوية، وابنه يزيد إلى أيام عبد الملك بن مروان، ومات في آخرها قاضيا، سنة ثمانين (٨٠هـ). ينظر: طبقات الفقهاء لأبي إسحاق إبراهيم علي الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ)، تح/إحسان عباس (ص: ٧٤)، ط١، دار الرائد العربي، بيروت (١٩٧٠م)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد (عز الدين ابن الأثير) (ت: ٦٣٠هـ)، تح/علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود (٦/٦)، ط١، دار الكتب العلمية (١٤١٥هـ/١٩٩٤).

٢- ينظر: الأذكار للنووي لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ص: ٦٤٨، ٦٤٩)، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٣- صيغ رواية الحديث القدسي:

أ- قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربه عز وجل.

ب- أو قال الله تعالى، فيما رواه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم. ينظر: تيسير مصطلح =

وأن الأحاديث القدسية ليست بكثيرة بالنسبة لعدد الأحاديث النبوية، وعددها حوالي مائتي حديث[1].

الفرق بين القرآن الكريم، والحديث القدسي، والحديث النبوي:

القرآن الكريم: ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحي جلي.

وأما الحديث القدسي: فهو ما كان لفظه من عند الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام.

وقال بعض العلماء: القرآن لفظ معجز ومنزل بواسطة جبريل، والحديث القدسي: غير معجز وبدون الواسطة، ومثله كما يسمى بالحديث القدسي، يسمى أيضا الإلهي والرباني.

والحديث النبوي: ما أضيف إلى النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف[2].

ولفوائد هذا الحديث آثرت أن يكون ميدان هذه الدراسة، الانسجام الذي توافر فيه، فقد تدفقت المعاني والفوائد من هذا الحديث، وترابطت ألفاظه وأجزاؤه، كاتصال الماء وانحداره من السحاب.

=

الحديث لأبي حفص محمود طحان النعيمي (ص:١٥٨،١٥٩)، ط١٠، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م)، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لمحمد جمال الدين القاسمي (ص:٦٦)، ط، دار الكتب العلمية، بيروت.

١- ينظر: تيسير مصطلح الحديث (ص: ١٥٨).

٢- ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تح/عدنان درويش – محمد المصري (ص:٧٢٢)، ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومصطلح الحديث لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، (ص:٥)، ط١، مكتبة العلم، القاهرة(١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

المبحث الأول
الانسجام وهدفه في البيان النبوي الشريف

الانسجام في كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعني ترابط الكلام بعضه ببعض، وانتظامه، وتناغمه، وتلاحم أجزائه كالنسيج الواحد، فكأن كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ جملة واحدة، يتفرع عنها ما بعدها، وينسجم معها انسجامًا تامًا، تتدفق الألفاظ والمعاني وتنحدر كانحدار الماء من السحاب.

وقد نص ابن أبي الإصبع ـ رحمه الله ـ أن الانسجام موجود في البيان النبوي الشريف في قوله: "ومن الانسجام في السنة قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في وصف القرآن: إن الله أنزل هذا القرآن آمرًا وزاجرًا، وسنة خالية ومثلا مضربًا، فيه نبأكم، وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلقه طول المدد، ولا تنقضي عجائبه، هو الحق، ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج، ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يريغ فيستعتب[1]، فانظر إلى انسجام هذه

١- أخرجه الإمام أبو محمد الدارمي في سننه (ت: ٢٥٥هـ)، تح/حسين سليم أسد الداراني، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن (٢٠٩٨/٤) رقم (٣٣٧٤)، ط١، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، (١٤١٢هـ – ٢٠٠٠م)، والإمام محمد الترمذي(ت: ٢٧٩هـ)، تح/أحمد محمد شاكر وآخرون، أبواب فضائل الأعمال، باب ما جاء في فضل القرآن (١٧٢/٥) رقم (٢٩٠٦)، وقال الترمذي:«هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ»، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م).

العبارة وما جاء فيها من البديع غير مقصود، تشهد الخواطر السليمة أنه كلام مسترسل غير مرو ولا مفكر، فصلوات الله وسلامه على من بعث بجوامع الكلم، وأوتى هذه الفصاحة الرائعة، وعلى آله وصحبه وسلم" [1].

فرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاء كلامه مشتملا على العفوية وعدم التكلف، منسجمًا، منتظمًا، متدفقًا، منحدرًا، كأنما ينحدر من صبب، كانحدار الماء من السحاب، والدمع من العين.

فالانسجام سمة بارزة في كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عجب في ذلك فقد اقتفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيان القرآن الكريم وتأثر به، وكيف لا يتأثر به وقد نزل عليه، وعلمه، وتعلمه، وقرأه وقُرِىء عليه، وتأمله، وتدبره، ودرسه، وتدارسه، كيف ومنطقه وحي يوحى إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2].

وإذا كان الانسجام "يدل على قوة الطبع والغريزة"[3]، فهو عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولى وأوجب، فقد امتلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أدوات البيان، فهو " أفصح خلق الله، وأعذبهم كلامًا، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقا، حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ويسبي الأرواح، ويشهد له بذلك أعداؤه، وكان إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد، ليس بهذ مسرع لا يحفظ، ولا منقطع تخلله السكتات بين أفراد الكلام، بل هديه فيه أكمل الهدي،

١- تحرير التحبير (ص: ٤٣٢).

٢- سورة النجم الآيتان (٣، ٤)، وينظر: بلاغة الانسجام في حديث :إن الحلال بين وإن الحرام بين" للعمار فهد بن محمد بن فهد (ص: ١٦٨)، حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، مجلد (١) عدد (٣٧)، الصفحات (١٤٨ــ ٢١٠)، رقم (١٣٠٤٨٨٣)، سنة (٢٠٢٢م).

٣- البديع في نقد الشعر(ص:١٣١).

قالت عائشة: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُبَيِّنُهُ، فَصْلٌ، يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ»[١]، وكان كثيرًا ما يعيد الكلام ثلاثا ليعقل عنه، وكان إذا سلم سلم ثلاثا، وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلام"[٢]، وبسبب قوة الطبع وفورته عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ توافر هذا الانسجام.

الهدف من الانسجام في البيان النبوي الشريف:

الهدف الرئيس من الانسجام النبوي في الكلام الشريف، هو التقرير والبيان لمراد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبيان مقاصد الشريعة وتقريرها في نفوس السامعين، فالانسجام وما يحمله من ترابط بين أجزائه هو الأقدر على بيان الأحكام وشرائع الدين.

هذا، و"الألفاظ غير مقصودة في أنفسها، وإنما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام، فصار اللفظ بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي مقصودة، وإذا كان طريقان يوصل كل واحد منهما إلى المقصود على سواء في السهولة إلا أن أحدهما أخصر وأقرب من الآخر، فلا بد أن يكون المحمود منهما هو أخصرهما وأقربهما سلوكا إلى المقصد"[٣]،

١- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تح/شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها (٢٧٤/٤٣) رقم (٢٦٢٠٩)، ط١، مؤسسة الرسالة (١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م)، والإمام الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب في كلام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٦٠٠/٥) رقم (٣٦٣٩).

٢- زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، (١٧٥/١)، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤١٥هـ /١٩٩٤م)

٣- سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ)، (ص:٢١٤)، ط١، دار الكتب العلمية (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

والانسجام بين الألفاظ والمعاني أكد مراد النبوة للسامع على وجه لا يقدر عليه مثله صلوات الله وسلامه عليه.

وتظهر بلاغة الانسجام في كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أن " الاستيفاء، الذي يخرج به الكلام – على حذف فضوله وإحكامه ووجازته – مبسوط المعنى باجزائه ليس فيها خداج ولا إحالة ولا اضطراب حتى كانت تلك الألفاظ القليلة إنما ركبت تركيبًا على وجه تقتضيه طبيعة المعنى في نفسه، وطبيعته في النفس، فمتى وعاها السامع واستوعبها القارئ، تمثل المعنى وأتمه في نفسه، في حسب ذلك التركيب، فوقع إليه تامًا مبسوط الأجزاء، وأصاب هو من الكلام معنى جمومًا لا ينقطع به ولا يكبو دون الغاية، كأنما هذا الكلام قد انقلب في نفسه إحساسًا لنظر معنوي، وهذا ضرب من التصرف بالكلام في أخلاق النفوس الباطنة التي تذعن لها النفوس وتتصرف معها، وقلما يستحكم لامرئ إلا بتأييد من الله وتمكين من اليقين" [1].

وهذا الانسجام في بيانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو نعمة من الله تعالى، فليس هو اكتساب ولا تمرين، وإنما هو إيتاء وإعطاء، كما في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ"[2]، فقد كان كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ جامعًا لوجوه الخير، وخلوه من الغريب؛ فلهذا كان مدعاة للإقبال عليه، واستشفاف معانيه.

١- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، (ص: ٢٣٠)، ط٨، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م).

٢- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من مسند أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ (٣٦٦/١٢) رقم (٧٤٠٣).

المبحث الثاني

الانسجام وبلاغته في حديث

" يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي "

روى الإمام مسلم بسنده: عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[١].

هذا، ودراسة الانسجام في النص النبوي الشريف، تقوم على تأمل الحديث الشريف كاملًا، وطول صحبته، ومتابعته، وتتبع المعنى وتدفقه، "فهو كلام كلما زدته فكرًا زادك معنى، وتفسيره قريب، قريب كالروح في جسمها البشري، ولكنه بعيد بعيد كالروح في سرها الإلهي، فهو معك على قدر ما أنت معه، إن وقفت

١- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (١٩٩٤/٤) رقم (٢٥٧٧).

على حد وقف، وإن مددت مد، وما أديت به تأدى"[١].

فلهذا كان البيان النبوي الشريف محط أنظار العلماء تأملًا وتدبرًا، فاستخرجوا الأسرار والنكات البلاغية من كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي ما كانت لتظهر لولا طول صبرهم، وملازمتهم بالنظر والتأمل فيها، فهي كما قال الرافعي: (إن وقفت على حد وقف، وإن مددت مد، وما أديت به تأدى)، ودراسة الانسجام وبلاغته في هذا الحديث الشريف موضوع الدراسة، يتجلى في مقامات كثيرة ينحدر بعضها من بعض كما ينحدر الماء من السحاب، والدمع من العين:

الانسجام وبلاغته في مقام تحريم الظلم:

يتجلى الانسجام ويبدأ من جملة النداء التي استفتح بها في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما روى عن ربه: (يَا عِبَادِي)، فكل لفظة من ألفاظ الحديث بعدها مرتبط بها، وقد تفرع الكلام عنها، وكأن هذا النداء قد فتح باب الحديث على مصرعيه، ومهد للدخول فيه، فانحدر الكلام منه، وانسكب انسكابًا، وانسجم انسجامًا، كأنما ينسجم الماء من السحاب، والدمع من العين في كثرته وانتظامه مثلا بمثل وسواء بسواء، وقد ظهرت بلاغة الانسجام بالنداء في قوله:(ياعبادي) في دلالته على اللطف والرحمة؛ بوصف العبودية، لا بوصف الخلق أو العصاة، ما يجعل النفس في تهئية للحكم والاطمئنان.

وقد استهل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيانه بهذا النداء: (ياعبادي)؛ إثارة منه، وتنبيهًا لما يلقى بعد النداء فيجمع له القلب، ويفتح له العقل، وهذا ينبه على مكانة الخبر[٢]، يقول الزمخشري: " فإذا نودي بها ـ أي ـ بـ (يا) القريب

١- وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي (٧/٣)، ط١، دار الكتب العلمية،(١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

٢- هذا من توجيهات أستاذي وشيخي، الأستاذ الدكتور/ رضا السعيد فايد، أستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر الشريف.

المقاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا" [١]، وهذا التأكيد راجع إلى ما يحدثه النداء من إثارة وانتباه في نفس المخاطب، مما يجعله يتلقى الخبر على قدر عال من الإيقاظ والإحساس، وهذا أثبت في تقرير المعنى وتمكينه في الذهن، وهذا ما يؤول إليه كل تأكيد ولذلك تكرر النداء[٢]، ثم تأمل اختيار أداة النداء (يا) التي يمتد بها الصوت حتى تتناسب مع هذا البعد وهذا النفور من قبل بعض الخلق، وقد قدم النداء ـ في هذا المقام ـ "جريا على ما ألف من الإيقاظ والتنبيه؛ لأن كل من طالب أمرا من الأمور من غيره، فلابد من إيقاظه وتنبيهه عليه، ليكون مستعدا للامتثال له" [٣].

وتأمل الانسجام في كلمة (عبادي) وإضافة العباد إلى ضمير الذات العلية وما فيه من من تشريف وتكريم وفتح للقلوب والعقول فتطيع ربها، وتتلقى التكاليف بنفس راضية، فأنتم عبادي فلن أشق عليكم[٤]، والخطاب في قوله:(عِبَادِي)"مع الثقلين خاصة لاختصاص التكليف، وتعاقب التقوى والفجور بهم" [٥]، وتتجلى عظمة الانسجام في إظهار المعاني من الألفاظ، فالمعاني تنحدر كانحدار الماء من السحاب.

١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، (٨٩/١)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٧هـ)،

٢- هذا من توجيهات شيخي وأستاذي، أ.د/ رضا السعيد فايد.

٣- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلويّ (ت: ٧٤٥هـ)، (١٣٥/٣)، ط١، المكتبة العصرية – بيروت (١٤٢٣هـ).

٤- هذا من توجيهات شيخي وأستاذي، أ.د/ رضا السعيد فايد.

٥- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت:٧٤٣هـ)، تح/د. عبد الحميد هنداوي(٦/ ١٨٣٧)، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).

والانسجام في قوله:(إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا)، يعزز التماسك النصي، بين النداء في أول الحديث، وبين ما يأتي بعده من أخبار تستدعي التأكيد والإيقاظ، فـ "(الظلم) وضع الشيء في غير موضعه الشرعي أو مجاوزة الحد الشرعي ...، وهو مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى، وكيف يجاوز سبحانه وتعالى حدا، وليس فوقه من يطيعه، وكيف يتصرف في غير ملكه والعالم كله في ملكه وسلطانه، وأصل التحريم في اللغة المنع فسمي تقدسه عن الظلم تحريما لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء" [1]، فالتعبير بـ (إن) التي تفيد الربط والتوكيد[2]، مع الإضافة إلى ضمير المتكلم (إني) أكد تحريم الظلم على الذات العلية، أي: تقدست وتعاليت عنه، وامتنعت بعدلي وحكمتي عنه، كما يمتنع من حرم عليه أمرًا، فيحتمل أنه استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه تنزهه تعالي عن الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه، باحتراز المكلف عما نهي عنه شرعًا في الامتناع منه، ثم استعمل في جانب المشبه به مبالغة وتشديدًا، ويحتمل أن يكون مشاكلة لقوله بعده: (وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا)[3].

وتأمل ـ حفظك الله ـ بلاغة الانسجام في الإتيان بـ (الواو) العاطفة في قوله: (وجعلته بينكم محرمًا)، فاتصال الجمل بعضها ببعض، أو ترك العطف

١- فتح المنعم شرح صحيح مسلم للدكتور/موسى شاهين لاشين (٤٧/١٠)، ط١، دار الشروق (١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م).

٢- ينظر: دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر، تح/ محمود شاكر (ص: ٣١٩)، ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

٣- ينظر: شرح الطيبي (١٨٣٧/٦)، والتَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ لمحمد بن إسماعيل الصنعاني (ت: ١١٨٢هـ)، تح/د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم (٥٩٣/٧)، ط١،مكتبة دار السلام، الرياض(١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

بينها يعد من أسرار البلاغة، كما أخبر الإمام عبدالقاهر في قوله: " اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة "[١]، وبلاغة الوصل ـ في هذا المقام ـ تدل على الربط السببي، فالواو تدل على تحريم الظلم على الذات العلية، وهذا يستلزم تحريمه على العباد، وهنا تظهر غاية العدل المطلق، أي: لأن الله تعالى لا يظلم (حرمته على ذاتي ونفسي)، ويحرمه عليكم (جعلته بينكم محرمًا)؛ كي لايظلم أحدكم الآخر، فـ (العطف بالواو) في هذا المقام، يدل على تأكيد وحدة المعنى، فالجملتان: (إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا) تعبران عن مفهوم واحد وهو (حرمة الظلم)، ولكن بطريقتين مختلفتين:

١– العدل متعلق بذات الله تعالى فلا يظلم.

٢– العدل يتعلق بخلقه تعالى؛ فلذلك أمرهم بعدم الظلم.

فالوصل بالواو جمع بين الطريقين في أسلوب بديع، فقد منع التوهم بأن التحريم على العباد منفصل عن عدل الله تعالى.

هذا، وتظهر بلاغة الانسجام في البيان الشريف ـ محل الدراسة ـ في التناسق في العبارة الذي أدى إلى الإيجاز المعجز، فالألفاظ القليلة تحمل معاني كثيرة، فالبيان الشريف يؤكد تحريم الظلم من الخالق سبحانه إلى البشر، وفيما بينهم، كما كشف النظم الشريف، قوة العاطفة بين الخالق سبحانه والبشر، فالانسجام بين صيغتي (إني، بينكم) يدل على شفقة الخالق سبحانه بخلقه، فالخطاب فيه صورة الرحمة، والشفقة، والوصية، كالأم التي تحرم على أبنائها ما يضرهم.

١– دلائل الإعجاز (ص:٢٢٢).

والانسجام الصوتي بين: (محرما، فلا تظالموا)، أكد للسامع أن الظلم محال في حق الله تعالى، فلا يسوغ لأحد أن يسأل الله تعالى أن يحكم له على خصمه إلا بالحق لقوله سبحانه: (إني حرمت الظلم على نفسي) فهو سبحانه لا يظلم عباده فكيف يظن ظان أنه يظلم عباده لغيره.

وقوله: (فلا تظالموا)، أي: المظلوم يقتص له من الظالم، وحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، وأصله: فلا تتظالموا [١]، وتظهر بلاغة صيغة المفاعلة، والتي صورت بلفظها ومعناها بني البشر وقد ظلم بعضهم بعضا وكأن الكلمة تحذر من السقوط في الظلم الذي قلما ينجومنه أحد، كما أن حذف التاء جعل الفعل يدل على مطلق النهي عن الظلم في كل شيء، فالنهي منصبًا على الفعل بصرف النظر عما تعلق به الفعل[٢].

<u>والانسجام في هذا المقام حقق:</u>

- الوحدة الموضوعية، فكل لفظة تحمل بين طياتها معاني العدل، والبعد عن الظلم.
- الجمع بين تنزيه الخالق عن الظلم، وتكليف المخلوق في البعد عن الظلم، والتزام طريق العدل.
- قوة التأثير والتنبيه للسامع، فجملة: (إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي) تؤثر في عقيدة السامع، وجملة: (وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا) تعد تشريعًا له، وجملة: (فلا تَظَالَمُوا) تمثل أمرًا عمليًا يتعايش به الإنسان بين أبناء جنسه، فاجتماع الجمل الثلاث، يمثل انسجامًا بلاغيًا تنحدر منه المعاني العقدية، والتشريعية،

١- ينظر: شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية لتقي الدين أبو الفتح، المعروف بابن دقيق العيد (ت: ٧٠٢هـ)، (ص: ٨٨)، ط٦، مؤسسة الريان (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

٢- هذا من توجيهات شيخي وأستاذي، أ.د/ رضا السعيد فايد.

والتكاليف العملية، التي يستفيد منها السامع في جميع أموره الدنيوية والأخروية.

فالانسجام البلاغي ـ في هذا المقام ـ جعل النظم الشريف محكمًا كالدرة، كل كلمة في موضعها، وكل جملة تكون عونًا لصاحبتها؛ لتحقيق مجتمع يسوده العدل المطلق، هذا العدل مستمد من عدله سبحانه.

الانسجام وبلاغته في مقام الضلال والهداية، والإطعام والكسوة:

في قوله: ﴿يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ... فَاسْتَغْفِرُونِي[١]﴾، تأمل بلاغة الانسجام في الترتيب العجيب: (استهدوني، استطعموني، استكسوني، استغفروني)، الذي يمثل تدرجًا بديعًا؛ حيث بدأ بالهداية التي هي أعظم نعمة، فبدونها يضل الإنسان، فحاجة الروح، وصلاح القلب أولًا، ثم تأتي ضروريات الجسد من المأكل والمشرب، فالطعام والشراب شرط لبقاء الإنسان، وقدرته على فعل الطاعات، وبعد تأمين قوت البطن تأتي حاجة الكسوة، فهي من لوازم البشر، لكنها بعد الطعام والشراب، وبعد ذكر ضروريات حياة الروح (الهداية)، وضروريات الجسد (الطعام والكسوة)، يختم بالمغفرة؛ لتأسيس العلاقة المستمرة بين الخالق والمخلوق، فالاستغفار هو طلب المغفرة من الله تعالى على التقصير الذي يقع في الهداية أو شكر النعمة (الطعام، والكسوة)، وهذا يدل على تذكير العبد بأن الغاية النهائية هي رضا الله تعالى والنجاة من النار، فالختم بالاستغفار يجمع جل المطالب ويربطها بالهدف الرئيس وهو رضا الخالق جل وعز، فهذا الترتيب يجسد حاجة العبد لخالقه تعالى

١– جعلت جملة قوله: (فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ) في المقام التالي؛ طبقًا لتقسيم الحديث بعد النداء.

في دينه ودنياه وآخرته بطريقة عجيبة توقظ العقول.

ومن بلاغة الانسجام بالاستثناء والشرط ـ في هذا المقام ـ أنه يصور الإنسان في حالة ضعف؛ ليربطها بقدرة الله تعالى المعطي، فالإنسان دائم الضلال، والجوع، والعري إلا من يتفضل الله تعالى عليه بكرمه ورضوانه.

ومن بلاغة الانسجام ـ في هذا المقام ـ أنه: " لما ذكر تعالى ما أوجبه من العدل، وحرَّمه من الظلم على نفسه وعلى عباده...، أتبعه بذكر إحسانه إليهم، وغناه عنهم، وفقرهم إليه، وأنهم لا يقدرون على جلب منفعةٍ لأنفسهم، ولا دفع مضرة عنهم إلا أن يكون هو الميسر لذلك، مشيرًا إلى ذلك الجلب والدفع إما في الدين، أو الدنيا، فصارت أربعة أقسام، وهي: الهداية، والمغفرة، وهما جلب منفعة، ودفع مضرة في الدين، والإطعام، والكسوة، وهما جلب منفعةٍ، ودفع مضرةٍ في الدنيا، وأهم هذه الأقسام طلب الهداية؛ فلذا افتتح به"[1].

ومن بلاغة الانسجام في قوله: (يا عبادي؛ كلكم ضالٌّ)، أن الله تعالى: " وصفهم بما كانوا عليه قبل بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – لا أنهم خلقوا على الضلالة، والأوجه أن يراد: أنهم لو تركوا بما في طباعهم من الشهوات وإهمال النظر لضلوا" [2].

فالانسجام ـ في البيان الشريف ـ يمثل انسجامًا عميقًا تنحدر منه الألفاظ المتناسقة، والمعاني المتباينة، كأنما ينحدر الماء من صبب، فالنداء يهيىء النفس

١– الفتح المبين بشرح الأربعين لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت: ٩٧٤ هـ)، عني به/أحمد جاسم محمد المحمد، وآخرون (ص:٤١٨)، ط١، دار المنهاج، جدة، ١٤٢(١٤٢٨هـ ٢٠٠٨ م).

٢– شرح مصابيح السنة للإمام البغوي لمحمد عزالدين، المشهور بـ ابن المَلَك (ت: ٨٥٤هـ)، تح/ نور الدين طالب، وآخرون (١٣٤/٣)، ط١، إدارة الثقافة الإسلامية (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).

لتلقي الحكم، فإذا وقع على نفس متهيئة أصاب وأفاد، فالله تعالى عبر بالنداء تلطفًا وكرمًا منه سبحانه، وإظهارًا لشرف العبودية له سبحانه، وتظهر بلاغة النداء في التنبيه على ما يأتي بعده من تكاليف وتشريعات؛ حتى يتنبه السامع، ويستقر في نفسه ما يلقى عليه.

ومن بلاغة الانسجام ـ في هذا المقام ـ التعبير بالجملة الاسمية في قوله: (كلكم ضال، كلكم جائع، كلكم عار)، فالتعبير بالاسم يثبت الحكم ثبوتًا مطلقًا على الدوام والتأبيد، ومن البلاغة العالية ـ في هذا المقام ـ التعبير بالجملة الفعلية في قوله: (فاستهدوني أهدكم، فاستطعموني أطعمكم، فاستكسوني أكسكم) التي تدل على التجدد في التحرك والعمل نحو الفعل[١]، فالانتقال من الوصف (كلكم ضال، كلكم جائع، كلكم عار) إلى الأمر بالدعاء (فاستهدوني، فاستطعموني، فاستكسوني) مع الوعد بالإجابة (أهدكم، أطعمكم، أكسكم)، يمثل انسجامًا محكمًا دقيقًا في التسلسل من التقرير إلى التكليف.

ويظهر الانسجام واضحًا جليًا من خلال ارتباط جمل الحديث بعضها ببعض، ومن تولد بعضها ببعض؛ ولذا كانت جملة (ياعبادي) هي الأصل الذي تفرعت منه المعاني بعدها، فانسجمت وانتظمت معها انسجامًا دقيقًا بارعًا.

ومن فيض بلاغة البيان الشريف، التعبير بالاستثناء، والشرط في قوله: (كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم)، فالاستثناء هنا تام مثبت، فالمستثنى منه (كلكم ضال) يشمل جميع الخلق، والمستثنى (من هديته) خرج من العموم بشرط الهداية الربانية، وتظهر بلاغة هذا التركيب في ظهور العلاقة للسامع بين الضلال والهداية، فالضلال هنا ضلال أصلي، فلا يمكن القدرة على

١– ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي (ت: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور (ص:٢٢١)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

حصول الهداية إلا بتوفيق الله تعالى وإرادته.

ومن فيض بلاغته سبحانه، التعبير بجملة الشرط الضمنية (استهدوني، أهدكم)، الذي كشف للسامع أن حصول الهداية مشروطًا بطلب العبد ودعائه، وأن الطلب والدعاء يكون بتوفيق الله تعالى؛ ولهذا كان جواب الشرط بمثابة البشرى للعبد في قوله: (أهدكم) الذي دل على استمرار الهداية، وأكد استجابة الخالق سبحانه لمن طلب الهداية منه.

وبلاغة الانسجام نراها ظاهرة في تكرار مادة (هـ د ى) في لفظ (هديته، استهدوني، أهدكم) التي ربطت أجزاء الحديث بعضه ببعض، وجعلت المعاني تتدفق بعضها يزاحم بعضًا، وهذه هي البلاغة كما نص عليها الحاحظ (ت:٢٥٥هـ) في قوله: "والبلاغة إصابة المعنى والقصد إلى الحجّة مع الإيجاز،... وربّما كان الإيجاز محمودا، والإكثار مذموما، وربّما رأيت الإكثار أحمد من الإيجاز، ولكلّ مذهب ووجه عند العاقل، ولكلّ مكان مقال، ولكلّ كلام جواب، مع أنّ الإيجاز أسهل مراما وأيسر مطلبا من الإطناب، ومن قدر على الكثير كان على القليل أقدر، والتّقليل للتخفيف، والتّطويل للتعريف، والتّكرار للتوكيد، والإكثار للتشديد" [1]، والبيان الشريف جمع بين كل ذلك وغيره.

ومن فيض بلاغة البيان الشريف، أنه يظهر الانسجام العاطفي من خلال تدفق الألفاظ بالمعاني، فنبرة النداء في قوله: (ياعبادي) تظهر معنى الحب والرحمة، رغم الحكم بالضلال، والتوازن والانسجام بين الترهيب والترغيب (استهدوني، أهدكم) دل على شفقة الخالق وحبه لخلقه، وكذلك الانسجام في التقابل بين الضلال والهداية في قوله: (ضال، أهدكم)، فالتعبير بالضلال يثير

١- الرسائل الأدبية لعمرو بن بحر الجاحظ، (ص:٢٩٦)، ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت (١٤٢٣هـ).

الشعور بالحاجة والضعف، والتعبير بالهداية يثير الرجاء والطمأنينة، فالانسجام العاطفي أكد مضمون البيان الشريف لدى السامع في أسلوب متناسق متباين، كل كلمة تتآزر مع صاحبتها ينسكب منها المعنى كسكوب الماء من منحدر.

ومن بلاغة الانسجام في هذا المقام، الانسجام الأسلوبي، الذي يتحلى بالإيجاز، المعجز، فرغم قلة الألفاظ إلا أن المعاني تنحدر منها انحدار الماء من السحاب، فخذ مثالًا على ذلك من النظم الشريف محل القصيد، كلمة (ضال) في قوله: (كلكم ضال) تشمل كل أنواع الضلال (الجهل، الغفلة، المعصية ...إلخ)، وكلمة (أهدكم) في قوله: (فاستهدوني أهدكم)، تشمل كل درجات الهداية (العلم، النجاح، الثبات ...إلخ).

فبلاغة الانسجام في البيان الشريف، أظهرت الوحدة الموضوعية، فكل كلمة تخدم فكرة الحاجة والافتقار إلى الخالق سبحانه في الهداية، وفتح باب الأمل والدعاء، فالانسجام جعل الحديث الشريف، كل كلمة في مكانها الدقيق؛ لتحقيق هدف واحد، وهو تذكير العبد بأن الهداية من عندالله تعالى، وأن باب الدعاء والأمل مفتوحان.

وقوله: (يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم)، النظم الكريم في هيكله يشبه النص السابق في الحديث عن الهداية، لكنه ـ في هذا المقام ـ يركز على رزق الطعام وكونه من عند الله تعالى، وعند التأمل في بلاغة الانسجام، نلمح انسجامًا بلاغيًا رفيعًا، بدأ بالتدرج المنطقي، حيث النداء (ياعبادي)، وهذا يظهر تأكيد العلاقة بين الخالق والمخلوق وتلطيفها، ثم الحكم العام بالافتقار إليه سبحانه في قوله: (كلكم جائع)، فالتعبير باسم الفاعل (جائع) يفيد ثبوت ودوام صفة الجوع للخلق إلا بفضله سبحانه؛ ولهذا جاء الاستثناء والتخصيص يبرز فضله تعالى على خلقه في قوله: (إلا من أطعمته)، فـ "الناس كلهم عبيدٌ لا ملك لهم في الحقيقة، وخزائن الرزق بيده تعالى، فمن لا يطعمه بفضله بقي جائعًا بعدله؛ إذ ليس عليه إطعام أحدٍ، فقولُه تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ

فِـي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَـى اللَّـهِ رِزْقُهَـا}[١]، التـزامٌ منـه تفضـلًا؛ لا أنـه عليـه واجـبٌ بالأصالة" [٢].

ثم تأمل الانسجام في جملة الشرط في قوله:(فاستطعموني أطعمكم)، فقد تحول الحكم النظري إلى فعل عملي وهو الدعاء، فالمعاني تنحدر من الألفاظ كأنك تشاهد الماء ينحدر من مكان إلى آخر في سهولة ويسر، فكأن الله تعالى يقول لخلقه:" سلوني واطلبوا مني الطعام، ولا يغرَّنَّ ذا الكثرة ما في يده؛ فإنه ليس بحوله وقوته، بل اللَّه تعالى هو المتفضِّل به عليه، فينبغي له مع ذلك ألَّا يغفل عن سؤال اللَّه تعالى إدامةَ نعمته عليه؛ لئلَّا تنفر عنه فلا تعود إليه...، (أُطْعمكم) أي: أُيسِّر لكم أسباب تحصيله؛ لأن العالمَ جمادَه وحيوانَه مطيعٌ للَّه تعالى طاعةَ العبد لسيده، فيُسخِّر السحابَ لبعض الأماكن، ويحرك قلب فلانٍ لإعطاء فلان، ويحوج فلانًا لفلانٍ بوجهٍ من الوجوه؛ لينال منه نفعًا، فتصرفاته تعالى في هذا العالم عجيبةٌ لمن تدبرها: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}[٣]، وفيه إشارة إلى تأديب الفقراء، وكأنه قال لهم: لا تطلبوا الطُّعْمة من غيري؛ فإن مَنْ تستطعمونهم أنا الذي أطعمهم، فاستطعموني أطعمكم"[٤]، يفيد الاستمرار والتجدد في العطاء الإلهي، " فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد" [٥].

ومن بلاغة الانسجام ـ في هذا المقام ـ التناسق في المعنى، فتكرار مادة: (ط ع م) في قوله: (أطعمته، استطعموني، أطعمكم) ربطت الأجزاء بعضها

١- سورة هود، من الآية (٦).

٢- الفتح المبين بشرح الأربعين (ص:٤٢١).

٣- سورة الذاريات، الآية (٥٨).

٤- الفتح المبين بشرح الأربعين (ص:٤٢٢).

٥- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ)، تح/محمد عبد المنعم خفاجي (١٣٣/٢)، ط٣، دار الجيل – بيروت.

ببعض، كما أن لفظ (الإطعام) يرمز إلى سد جميع أنواع العوز والحاجة، فالجناس الاشتقاقي بين الكلمات، انحدر واتصل كاتصال الماء بعضه ببعض.

ومن فيض بلاغة النظم الشريف ـ في هذا المقام ـ الانسجام العاطفي، فنبرة النداء (ياعبادي) تظهر معنى اللطف والحب، رغم ضعف العبد، كذلك فعل الأمر(استطعموني) حول اليأس إلى أمل، وكذلك االتقابل العاطفي بين الجوع والإطعام في قوله: (جائع) يثير الشعور بالضعف والوهن، وقوله: (أطعمكم) يوحي إلى الكرم والجود الإلهي.

ومن بلاغة الانسجام، التعبير بالشرط وجوابه في قوله: (استطعموني أطعمكم)؛ حيث قرر للسامع مبدأ التوكل على الله تعالى مع السعي (الدعاء، والأخذ بالأسباب)، فالنظم الكريم يتمتع بالوحدة الموضوعية، فكل كلمة ينحدر منها فكرة التوكل على الله في الرزق، كذلك علاقة التوازن بين الحاجة والعطاء، فالنظم الكريم لا يترك المتلقي في اليأس، بل يفتح له باب الأمل والدعاء، والثقة في رحمة الله تعالى، وهذا يشبه الماء الذي ينسكب على الأرض اليابسة فتكسوها البهجة والسرور.

والانسجام في قوله: (يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ)، يشبه ما قبله في شأن الإطعام، وقد وضح الإمام الطيبي: معنى الاستثناء في شأن الإطعام، والكسوة، ما نصه: " فإن قلت: ما معنى الاستثناء في قوله: (إلا من أطعمته، وإلا من كسوته)، إذ ليس أحد من الناس محرومًا عنهما؟ قلت: الإطعام والكسوة لما كانا معبرين عن النفع التام والبسط في الرزق، وعدمها من التقتير والضيق، كما قال تعالي: {الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر}[١]، سهل التقصي عن الجواب، فظهر من هذا أن ليس المراد من إثبات

١– سورة الرعد، من الآية (٢٦).

الجوع والعري في المستثنى منه، نفي الشبع والكسوة بالكلية، وليس في المستثنى إثبات الشبع والكسوة مطلقًا، بل المراد بسطهما وتكثيرهما"[١]، والانسجام في هذا المقام يدور حول الكسوة بمستوياتها: (الحسية، المعنوية)، فـ" الكِسْوَةُ والكُسْوَةُ: اللِّبَاسُ"[٢] الحسي، والكسوة المعنوية: العزة، التقوى، الكرامة، الغنى...إلخ، فالكسوة لها معان مختلفة[٣]، وفي الحديث " وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ "[٤]، أي: "أَنهنَّ كاسياتٌ مِنْ نِعَم اللَّهِ عارِياتٌ مِنَ الشُّكْرِ، وَقِيلَ: هُوَ أَن يَكْشِفْنَ بعضَ جَسَدِهِنَّ ويَسْدُلْن الخُمُر مِنْ وَرَائِهِنَّ فهنَّ كاسِياتٌ كعارِيات، وَقِيلَ: أَراد أَنهن يَلْبَسْن ثِياباً رِقَاقًا يَصِفْنَ مَا تَحْتَهَا مِنْ أَجْسامِهن فَهُنَّ كاسِياتٌ فِي الظَّاهِرِ عارِياتٌ فِي الْمَعْنَى"[٥]، فالمعنى يدل على الحركة والانحدار، فالمعاني تتدفق من الألفاظ وتنحدر، فالفعل الماضي (كسوته) يؤكد قدرة الخالق سبحانه على كل شيء، وصيغة الافتعال، أو فعل الشرط (استكسوني) دل على الطلب مع بذل الجهد، والفعل المضارع، أو جواب الشرط (أكسكم) دل على الاستمرارية الإلهية التي لا تنقطع، قال تعالى: {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ}[٦]، فالانسجام في هذا المقام ربط السبب بالنتيجة.

فالانسجام ينحدر من الألفاظ تجاه السامع "وفي هذا جميعِه أوفى تنبيهٍ، وأظهر تقريرٍ على افتقار سائر خلقه تعالى إليه، وعجزهم عن جلب منافعهم،

١- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (١٨٣٨/٦).

٢- لسان العرب، مادة (ك س أ)، (٢٢٣/١٥).

٣- ينظر: المرجع السابق (٢٢٣/١٥).

٤- صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (١٦٨٠/٣) رقم (٢١٢٨).

٥- لسان العرب، مادة (ك س أ)، (٢٢٤/١٥).

٦- سورة النساء، من الآية (٣٢).

ودفع مضارِّهم إلا أن ييسر لهم ما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، فلا حول ولا قوة إلا به، ولا استمساك إلا بسببه" [١].

ومن بلاغة النظم الشريف ـ في هذا المقام ـ الانسجام العاطفي، وقد ظهر هذا جليًا للسامع في التدرج الوجداني من الإحساس بالعري الذي ينحدر منه الضعف والوهن، إلى الشعور بالستر الذي ينحدر منه القوة والقدرة، ومن الافتقار والحاجة في قوله: (كلكم عار) إلى البسط والامتلاء في قوله: (أكسكم)، فالمعاني تنسكب وتنخرط، كانسكاب الماء من السحاب.

ومن بلاغة النظم الكريم، الانسجام السياقي، فقد ارتبط بالسياق القرآني، كما في قوله تعالى:﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[٢]، وقوله تعالى:﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾[٣]، كما ارتبط بالسياق القبلي الذي اشتمل على (الهداية، والطعام)، ثم جاءت الكسوة، وهذا يمثل اكتمال ثلاثية الحاجات الأساسية.

ومن بلاغة النظم الشريف، الانسجام الغائي، وتحقيق المقاصد، فقد أثبت الانسجام بين ألفاظ الحديث، إثبات التفرد الإلهي في سد الحاجات، وترسيخ مفهوم العبودية، وتحفيز الدعاء والتوجه له سبحانه، فكل لفظة تخدم المعنى المراد، واستحالة فصل أي جزء عن الآخر دون الإخلال بالمعنى، فهذا الحديث يمثل ـ بانسجامه البلاغي ـ النسيج المحكم الذي تتداخل خيوطه لتشكل حلة يعلوها الوقار والبهاء، تجمع بين حسن السبك، والطلعة، فتؤثر في عقل السامع وقلبه، وترسخ حقائق التوحيد، بأسلوب لايصدر عن مثله سبحانه.

١- الفتح المبين بشرح الأربعين (ص: ٤٢٢).

٢- سورة الأعراف، من الآية (٢٦).

٣- سورة النحل، من الآية (٨١).

الانسجام وبلاغته في مقام الذنوب والمغفرة:

في قوله: (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ)، تأمل ـ حفظك الله ـ أن المعاني تتدفق من جملة النداء (ياعبادي)، والنداء في هذا المقام من أنواع الانسجام، وسبب لتدفق المعاني، فالنداء جاء تأكيدًا على علاقة الربوبية والعبودية بأسلوب لطيف، فعند تأملك لهذا النداء (ياعبادي) تشعر بنبرة رحيمة تذوب فيها العظمة الإلهية في اللطف والمحبة، ثم التعبير بجملة التأكيد (إنكم) ما يفيد ضعف بني آدم، وعدم عصمتهم من المعاصي، والذي كشف عن هذا المعنى التعبير بالفعل المضارع (تُخْطِئُونَ) الذي كشف استمرار وتجدد هذه المعاصي، والتوسع فيها بالمطابقة: وتسمى الطباق، والتضاد أيضًا، وهي الجمع بين متضادين، أي: معنيين متقابلين في الجملة[1]، وهما: (الليل والنهار)، يكشف شمولية التوسع الزمني في المعاصي، فالجمع بين الضدين ـ في هذا المقام ـ من صور الانسجام، وسبب لتدفق المعاني وتتابعها؛ وذلك أن الضد أقرب حضورًا عند ذكر ضده، فهو حاضر حتى ولو لم يذكر، وذكره ـ في هذا المقام ـ تأكيد له، ومزيد إيضاح، وبيان أهمية، وتلك صورة من صور الانسجام البيانية في هذا الحديث الشريف، فيما رواه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ربه.

وعند التأمل في قوله: (إنكم تخطئون بالليل والنهار)، نلمح "في هذا الكلام من التوبيخ ما يستحي منه كل مؤمن، وكذلك أن الله خلق الليل ليطاع فيه، ويعبد بالإخلاص، حيث تسلم الأعمال فيها غالبًا من الرياء والنفاق، أفلا يستحي

١- ينظر: مفتاح العلوم، وكتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (ت:٧٧٣هـ)، تح/ د.عبدالحميد هنداوي (٢/٢٢٥)، ط١، المكتبة العصرية، بيروت (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

المؤمن أن لا ينفق الليل والنهار في الطاعة "[١].

والفعل المضارع (تخطئون)، ضبطه بعض الفضلاء بفتح التاء والطاء على وزن (تفترون) من (الافتراء)، وقال: (لم أخطأ يخطيء) رباعى إذا فعل عن غير قصد، و(خَطِيء يَخْطَأُ) على وزن (عَلِمَ يَعْلَمُ) ثلاثيًا إذا فعل عن قصد، ومنه قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾[٢]، وإنما وجب أن يكون هاهنا (تَخطئون) ثلاثيا؛ لأنه جعله ذنبًا يغفر لقوله: (وأنا أغفر الذنوب جميعًا)، والخطأ عن غير قصد معفو عنه ولا يعتد به ذنبًا أصلا ولا غيره، وجاء التعبير بالجملة الاسمية (وأنا أغفر الذنوب جميعًا)؛ لإثبات ثبات المغفرة الإلهية، فهي مغفرة دائمة لا تنقطع بفضل الله وكرمه[٣].

وتظهر بلاغة الانسجام في العطف في قوله: (وأنا اغفر الذنوب جميعًا)، فالعطف من صور الانسجام الذي جعل المعنى يتدفق إلى السامع بأسلوب بديع، فالمغفرة وثبوتها من الله تعالى رغم عصيان العبد في الليل والنهار، فتحت باب الرجاء والأمل، فالعطف بالواو من صور الانسجام الذي جعل المعنى يفور ويغزر، فالتتابع والانتظام والفوران إحدى أعمدة الانسجام، وتظهر بلاغة العطف في وجود جهة جامعة، فـ " شرط كون العطف بالواو مقبولا، هو أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة"[٤]، وقد تحققت الجهة الجامعة بين الخطأ والمغفرة، فالعباد يخطئون، والخالق سبحانه يغفر لمن تاب.

ومن بلاغة الانسجام، الأمر والاستجابة في قوله: (فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ

١- شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص:٨٩).

٢- سورة العلق، الآية (١٦).

٣- ينظر: التعيين في شرح الأربعين لسليمان الطوفي الصرصري (ت: ٧١٦ هـ)، تح/ أحمد حَاج محمّد عثمان (ص:١٨٣)، ط١، مؤسسة الريان، بيروت(١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٤- مفتاح العلوم (ص:٢٥١).

لَكُمْ)، فالفاء وما تحمله من معان بلاغية، حولت العجز البشري إلى فعل إيجابي، ورسخ ثقافة الاستغفار لدى السامع، وجعلها جسرًا يعبر منه العبد إلى ربه.

ومن بلاغة الانسجام في هذا المقام، التنغيم الموسيقي، فالتكرار الصوتي لحرفي الغين والفاء (استغفروني، أغفر) أحدث تناغمًا لدى السامع، وكذلك الإيقاع بين المقاطع الطويلة (تخطئون) مع القصيرة (اغفر)، فهذا الانسجام يجعل المعاني متدفقة متزاحمة في صدر السامع وعقله.

ومن بلاغة الانسجام السياقية في هذا المقام، أنه ارتبط بالنصوص القرآنية، كما في قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)[1]، والسياق القبلي لهذا المقام من الهداية، والرزق، والمغفرة، فالمعاني تنحدر من البيان الشريف، تبدأ بالاعتراف بالذنب، مرورًا ببحر المغفرة الإلهية، فكل كلمة متناسقة موضوعة في مكانها، كحبات العقد المنتظم.

الانسجام وبلاغته في مقام الضر والنفع:

يمثل هذا الانسجام لوحة فنية كل عنصر فيها يخدم صاحبه، وذلك في قوله: (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي)، فـ " لما أنه قد قام الإجماع والبرهان على أنه تعالى منزهٌ مقدسٌ غنيٌّ بذاته، لا يمكن أن يلحقه ضررٌ ولا نفعٌ، فهو تعالى كان أحسن إلى عباده بغاية وجوه الإحسان التي ذكرها من إجابة دعائهم، وهدايته لهم، وإطعامهم، وكسوتهم، وغفر ذنوبهم... غيرُ محتاجٍ إلى مكافأتهم بجلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ...، فالمعنى هنا: لا يتعلق بي ضرٌّ ولا نفعٌ فتضروني أو تنفعوني؛ لأنه تعالى غنيٌّ مطلق، والعبد

١- سورة الزمر، من الآية (٥٣).

فقيرٌ مطلق: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[١]، والفقير المطلق لا يملك ضرًا ولا نفعًا، خصوصًا للغنيِّ المطلق"[٢]، فالانسجام ـ في هذا المقام ــ جسد توازنًا فنيًا بين الوحدة الموضوعية، والتناسق اللفظي، والعاطفي...إلخ.

فبلاغة الانسجام تتدفق من الألفاظ وتدور حول محور القدرة الإلهية، والعجز البشري، فالعباد لا يقدرون أن يوصلوا إلى الله نفعًا ولا ضرًا، فإن الله تعالى في نفسه غني حميد، لا حاجة له بطاعات العباد، ولا يعود نفعها إليه، وإنما هم ينتفعون بها، ولا يتضرر بمعاصيهم، وإنما هم يتضررون بها، فالله تعالى يحب من عباده أن يتقوه ويطيعوه، كما أنه يكره منهم أن يعصوه، ولهذا يفرح بتوبة التائبين فرحًا عظيمًا[٣].

وقد أظهر التناسق اللفظي بلاغة الانسجام في تزاحم المعاني وانحدارها نحو هدف واحد، كأنها تنحدر من صبب، فالهيكل البنائي بين تكرار صيغة النفي (لن تبلغوا ضري، ولن تبلغوا نفعي) دل على ثبوت العجز البشري المطلق، فالنفي الأول سلب القدرة على الضر، والنفي الثاني سلب القدرة على النفع، فتكاملت الصورة، كما أن الطباق بين (ضري، نفعي، تضروني، تنفعوني) يظهر كمال القدرة الإلهية، وعجز النفس البشرية.

وكذلك الانسجام عن طريق الجناس الاشتقاقي (ضري، تضروني، نفعي، تنفعوني) يمثل وحدة معنوية، في التأكيد على المراد بصورة بلاغية تحمل كثيرًا

١- سورة فاطر، الآية (١٥).

٢- الفتح المبين بشرح الأربعين (ص:٤٢٤، ٤٢٥).

٣- ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لزين الدين الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تح/شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس (٤٣/٢)، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

من المعاني المتدفقة من الألفاظ، وقد نص الإمام عبدالقاهر على بلاغة الجناس في قوله: " فإنك لا تستحسن تجانُس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعاً حميدًا، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيدًا"[1]، وقد تحقق الغرض البلاغي من النظم الكريم في هذا المقام؛ حيث أكد التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات بعضها ببعض، قد طربت له الأذن، واهتزت له أوتار القلوب، وعرف السامع مراد الله تعالى، وتقصيره نحوه.

وكذلك التكرار لمادة (ب ل غ) في قوله: (تبلغوا) يمثل تأكيدًا على استحالة الوصول لضره ونفعه سبحانه من قبل خلقه، وهذا يمثل انسجامًا للنص، وتشابك المعاني واتصالها ببعض كاتصال الماء.

ومن بلاغة النظم الكريم في هذا المقام، الانسجام العاطفي، الذي يظهر من التدرج الوجداني في قوله: (إنكم) الذي أفاد التنبيه، ثم صعد إلى التذكير بالحدود البشرية، وكذلك التأمل في النبرة الخطابية التي تجمع بين الوقار في إثبات العظمة للخالق سبحانه، والرحمة في تحديد قدرة العبد.

ومن بلاغة النظم الشريف في هذا المقام، الانسجام السياقي مع القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾[3]، والانسجام السياقي القبلي ـ الذي ذكرنه آنفا ـ في اكتمال منظومة التوحيد (الهداية، الرزق، المغفرة، النفع والضر).

ومن بلاغة الانسجام في هذا المقام، تحقيق المقاصد، كتنزيه الخالق

١- أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر (ص:٧)، مطبعة المدني بالقاهرة، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

٢- سورة الأنعام، من الآية (١٧).

٣- سورة الأعراف، من الآية (١٨٨).

سبحانه عن الحاجة والتأثر، وتحديد مكانة العبد، وتوجيه السامع والسيطرة على فكره وقلبه في الاعتماد على الخالق جل وعز.

فالبيان الشريف ـ في هذا المقام ـ يجسد لوحة فنية، كل عنصر فيها يخدم الآخر، فالنداء (ياعبادي) إضاءة كبيرة مركزية، والنفي بالطباق (الضر، النفع) كإطار اللوحة، والأفعال المتقابلة كألوان متكاملة، كلها أدوات ساعدت على تدفق المعاني والتحام بعضها ببعض، تنحدر وتنسكب كالماء الذي ينحدر وينسكب من السحاب.

الانسجام وبلاغته في مقام التقوى والفجور:

في قوله: (يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا)، الانسجام في هذا المقام يتميز بدقة بلاغية عالية في وحدة موضوعية، وتناسقًا دقيقًا بين الشكل والمضمون، فالانسجام التركيبي الذي انطلق من النداء في قوله: (ياعبادي) قد أسس علاقة العبودية، والشرط (لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم) قد جمع بين الزمان والمكان، والنفي في قوله: (ما زاد ذلك، ما نقص ذلك) أكد الكمال الإلهي، والنقص للمخلوقين.

فالانسجام ـ في هذا المقام ـ يمثل لوحة فنية، موضوعة بعناية فائقة، يمثل كل جزء منها بمثابة الدليل والبرهان للمتلقي في أن طاعة الخلق كلهم لا تزيد في ملك الخالق شيئًا، كما أن معصيتهم كلهم لا تنقص من ملكه شيئًا، وأن تقوى المتقين رحمة لهم وأنها لا تزيد في ملكه شيئا[١]، فالتوازن البديعي ـ في التقابل ـ في قوله: (أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم) قد شمل الزمان والمكان، فالانسجام ـ في

١– ينظر: شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية (ص:٨٩).

هذا المقام ـ يدور حول محور كمال الخالق، ومحدودية المخلوقات، فالمقارنة بين (أول ، آخر، إنس، جن) تجمع بين كل الخلق.

وتأمل بلاغة الانسجام في قوله: (كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم) أي: علي تقوى أتقى قلب رجل، أو علي أتقى أحوال قلب رجل واحد، ولا بد من هذا التقدير ليستقيم أن يقع (أتقى) خبرا لـ (كان) ثم إنه لم يرد أن كلهم بمنزلة رجل واحد، هو أتقى من الناس، بل كل واحد من الجمع، بمنزلته؛ لأن هذا أبلغ، كقولك: ركبوا فرسهم، وعليه قوله تعالي: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ}[١] في وجه، ثم إضافة (أفعل) إلي نكرة مفردة تدل علي أنك لو تقصيت قلب رجل رجل من كل الخلائق، لم تجد أتقى قلبا من هذا الرجل، وقوله: (ما نقص ذلك من ملكي شيئا) (شيئا) يجوز أن يكون مفعولًا به، إن قلنا: إن (نقص) متعد، ومفعولا مطلقا إن قلنا: إنه لازم، أي: نقص نقصانا قليلا، والتنكير فيه للتحقير[٢].

وتأمل بلاغة الانسجام في قوله: (ما زاد ذلك في ملكي شيئا)، وقوله: (ما نقص ذلك من ملكي شيئا)؛ حيث تعين الفصل عما قبلهما وذلك لشبه كمال الاتصال، فالمعاني في هذا الطريق " تتواصل من طريق أن الأولى تتولد منها الثانية، وكأنها أصل ينبثق منه فرع"[٣]، وتكون الجملة جوابًا عن سؤال اقتضته الجملة الأولى بفحواها تقديره: ماذا يحدث لو كان العباد على أتقى قلب رجل واحد، أو أفجر قلب رجل واحد؟ ولا يعطف الجواب على السؤال، وإذا كان هذا الغرض ما أثبتته الأصول النحوية حتى تبنى الجملة بناء صحيحًا تخلو من سوء

١- سورة البقرة، من الآية (٧).

٢- ينظر: شرح المشكاة (٦/١٨٣٨/ ١٨٣٩).

٣- دلالات التراكيب دراسة بلاغية أ.د/محمد محمد أبوموسى(ص:٣٢١)، ط٣، مكتبة وهبة (٢٠١٤م).

التأليف دون النظر إلى علاقتها بالمخاطب، فإن غرض البلاغة يبحث في جمال العبارة، وتذوق المخاطب لها وما يحمله من إثارة الفكر لتقدير السؤال بحسب ذوقه وحسه البلاغي، وكل هذا يدل على ترابط وتلاحم المعاني وانحدارها من الألفاظ.

وقد ظهرت بلاغة الانسجام ـ أيضًا ـ من خلال الطباق بين (أولكم، آخركم، إنسكم، جنكم، أتقى، أفجر، زاد، نقص)، فالطباق بين الشيء وضده يقرب مضمون الكلام ويقربه للسامع في صورة قوية ، فالأشياء بضدها تتباين وتتضح، فالانسجام ـ في هذا المقام ـ يكشف تحقيق المقاصد، وهي تنزيه الذات الإلهية عن النقص، وتحديد مكانة العبد، ونفي التوهم البشري في أن المعصية تؤثر على الخالق سبحانه، وأن الحكمة من العقاب هي مصلحة العباد، وتصحيح مسار الطريق من المعصية إلى التوبة، والرجوع إلى الخالق سبحانه فهو المهيمن خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[٢].

وقد مثل هذا النص الشريف ذروة الانسجام، فشمولية الجمع الزماني والمكاني في قوله: (أولكم، آخركم، إنسكم، جنكم) حققت مضمون التكامل بين السعة والدقة، فالكون كله على قلب فرد واحد، يمثل تكاملًا بديعًا لا يقدر عليه مثله سبحانه، فالانسجام ـ في البيان الشريف ـ قد اكتملت فيه الوحدة العضوية، فلا يمكن فصل جزء منها عن السياق، فالحديث الشريف كأنه مرآة عاكسة، يجسد ثنائية كاملة، فطاعة الخلق كلهم لا تزيد في ملك الله تعالى، كما أن معصيتهم لله تعالى لا تنقص منه شيئًا، فهو انسجام بديع يعكس كمال الحكمة

١- سورة النساءن من الآية (١٣١).

٢- سورة البقرة، من الآية (٢٥٥).

الإلهية.

الانسجام وبلاغته في مقام القيام والسؤال:

في قوله: (يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ)، يشبه هذا البيان الشريف ـ في انسجامه ـ محيطًا عظيمًا لا ساحل له، فألفاظه كأمواج عالية متدفقة تتدفق منها المعاني كأعماق عظيمة تتراكب طبقاتها، وغايته مضيئة كالمصباح الذي يتلألأ في هذا التركيب البديع، فالبيان الشريف بلاغة إلهية تضع الحقائق في قالب بديعي متسق دون صنعة أو تكلف.

هذا، والحديث القدسي الشريف ـ في هذا المقام ـ يجسد وحدة موضوعية كاملة، وتناسقًا فريدًا بين الشكل والمضمون، فعند التأمل في الانسجام التركيبي للبيان الشريف، نجد الدقة في التدرج المنطقي المحكم، فالنداء (ياعبادي) يؤسس علاقة العبودية والربوبية، والشرط الجامع في قوله: (لو أن أولكم وآخركم) يؤسس شمولية زمنية، والجمع بين الإنس والجن في قوله: (وإنسكم وجنكم) يؤسس شمولية مكانية، والفعل الجماعي في قوله: (قاموا في صعيد واحد) قد وحد المكان (الصعيد)، والفعل (القيام والسؤال)، والنتيجة التي ظهرت من النفي في قوله: (ما نقص)، والتشبيه الحسي الدقيق (المخيط والبحر)، فالانسجام التركيبي قد اكتملت أدواته، وتحققت مقاصده.

وعند التأمل البلاغي في الانسجام الدلالي للبيان الشريف، نراه يدور حول محور الكرم الإلهي، ومحدودية المخلوقات وعجزها، فضخامة الطلب (كل الخلق) التي ظهرت في السؤال بالاجتماع في مقام واحد، وازدحام السائلين مما يدهش المسئول ويبهته، ويعسر عليه إنجاح مآربهم، والإسعاف إلي مطالبهم، أظهر ذلك الكرم الإلهي وضآلة الأثر، فنقص العطاء كنقص المخيط في البحر، فالمشبه: نقص العطاء الإلهي، والمشبه به: نقص المخيط في البحر، ووجه الشبه: الضآلة

غير المحسوسة، فالإبرة، وغمسها في البحر إن لم يخل عن نقص ما، لكنه لما لم يظهر ما ينقصه للحس، ولم يعتد به العقل، وكان أقرب المحسوسات نظيرًا ومثالا، شبه به صرف ملتمسات السائلين مما عنده، فإنه لا يغيضه مثل ذلك، ولا أقل منه[١].

وانظر إلى بلاغة الكناية في قوله: (صعيد واحد) فهي كناية عن الاجتماع العظيم، وقوله: (ماعندي) كناية عن خزائن الرحمة والعطاء التي لا تنقطع ولا تنقص، فالانسجام الدلالي قد تدفق منه الانسجام البياني وانحدرت منه المعاني، فالمعاني متصلة متدفقة كاتصال الماء وانحداره بعضه من بعض، وهذا هو الانسجام البلاغي الذي وافق المعنى اللغوي.

ومن بلاغة الانسجام الطباق بين: (أولكم ـ آخركم)، (إنسكم ـ جنكم)، (الصعيد الواحد ـ البحر الواسع)، فالجمع بين الضدين يقرب على السامع مراد المتكلم، ويظهر قدرة الخالق سبحانه، وضعف المخلوق، فهناك مفارقة عظمى، بين ضخامة الفرضية (سؤال الجميع)، وضآلة النتيجة (عدم النقص).

ومن بلاغة الانسجام ـ في هذا المقام ـ التدرج الوجداني: من التجمع العظيم (قيام الخلق كلهم بالسؤال) إلى الفردية (إعطاء كل إنسان مسألته)، ومن العظمة (شمول العطاء) إلى التواضع (عدم النقص).

وتأمل ـ رعاك الله ـ بلاغة الانسجام العاطفي التي ظهرت في نبرة الخطاب في قوله: (ياعبادي) فالنداء تلمح منه رحمة وحنان، والشرط في قوله: (لو أن) فيه تعظيم وتفخيم، والنفي في قوله: (مانقص) يظهر منه تطمين وتهوين، فالمعاني تنحدر وتتزاحم من الألفاظ.

ومن بلاغة النظم الكريم ـ في هذا المقام ـ فصل جملة (ما نقص ذلك مما

١- ينظر: شرح الطيبي على المشكاة (٦/ ١٨٣٩).

عندي)؛ حيث فصلت عما قبلها لشبه كمال الاتصال، فالجملة الثانية تولدت وانحدرت من الأولى، وكانت بمثابة الجواب الذي انحدر من السؤال في الجملة الأولى، تقديره: ماذا لو اجتمع الخلق في مقام واحد وسألوني، وأعطيت كل واحد مسألته؟ فكان الجواب : (ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) بغير عطف لما بينهما من شبه كمال الاتصال.

ومن بلاغة الانسجام ـ في هذا المقام ـ التنغيم الموسيقي، كتكرار حرف الميم في قوله: (ما، مما، مسألته، مخيط)، وانتهاء الجمل بـ (واحد، مسألته، البحر)، يفيد انحدار الكرم والعطاء من الخالق سبحانه إلى خلقه دون تفريق أو تمييز بين جنس أو لون أو دين.

ومن بلاغة الانسجام ـ في هذا المقام ـ تحقيق المقاصد: إثبات سعة كرم الله تعالى وعطائه، ونفي الشح عن الذات الإلهية، وتشجيع الدعاء والسؤال، ونفي التوهم البشري من خوف الإنفاق، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1]، وقوله: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[2]، فقد تكامل السياق القرآني مع الحديث القدسي في تأسيس العقيدة، والتوازن بين الكم والكيف في كثرة السائلين مقابل ضآلة الأثر، والوحدة العضوية في ترابط الأجزاء كسلسة متصلة، أبهرت العقل بالمقارنة، وطمأنة القلب بعدم النقص.

<u>الانسجام وبلاغته في مقام حصر الملكية (أعمال العباد) والجزاء:</u>

في قوله: (يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)، البيان النبوي الشريف ـ في هذا المقام ـ يجسد وحدة موضوعية كاملة، فينطلق انسجامه وينحدر

١- سورة النحل، من الآية (١٨).

٢- سورة النحل، من الآية (٩٦).

من النداء في قوله: (ياعبادي) الذي يؤسس العلاقة بين الخالق والمخلوق، وحصر الملكية، وإثبات المسائلة في قوله: (إنما هي أعمالكم)، و"(أعمالكم)) تفسير لضمير المؤنث في قوله: (إنما هي) يعني إنما نحصي أعمالكم، أي: نعد ونكتب أعمالكم من الخير والشر، توفية لجزاء عمل أحدكم علي التمام، ... ويمكن أن يرجع الضمير إلي ما يفهم من قوله: (أتقى قلب رجل، وأفجر قلب رجل) وهي الأعمال الصالحات والطالحات، ويشهد له لفظة (إنما) فإنها تستدعي الحصر، أي ليس نفعها وضرها راجعًا إلي، بل أحصيها إليكم، لأجازيكم بها، فمن وجد خيرا فليشكر الله؛ لأنه تعالي هو هادي الضلال، وموفقهم للخيرات، ومن وجد شرًا، فليلم نفسه"[١].

وقد ظهرت بلاغة الانسجام البلاغي في انحدار المراحل الزمنية التي كانت واضحة جلية من جملة الحصر بـ (إنما) والشرط وجوابه، فالحساب (أحصيها)، الجزاء (أوفيكم)، والنتيجتان المتبادلتان: حالة الخير(فليحمد)، حالة الشر (فلا يلومن)، فالانسجام يدور حول محور العدل الإلهي المطلق، والمسؤولية الفردية، فبلاغة الانسجام ـ في هذا المقام ـ كشف عن ضآلة الأعمال البشرية، ودقة الحساب الإلهي، فالله تعالى يحصي الأعمال للعباد عن طريق الحفظة، ثم يجازي عليها يوم القيامة، فالطاعات التي يترتب عليها الثواب والخير بتوفيق الله عزَّ وجلَّ، فيجب حمده على التوفيق إليها، والمعاصي التي يترتب عليها العقاب والشر وإن كان بقدر الله عزَّ وجلَّ وخذلانه العبد، فهي بكسب العبد، فليلم نفسه؛ لتفريطه بالكسب القبيح[٢].

هذا، والمعاني من الألفاظ تنحدر وتتزاحم، تأمل الكناية في قوله:

١- شرح الطيبي على المشكاة (٦/ ١٨٣٩).

٢- ينظر: التعيين في شرح الأربعين (ص:١٩٢).

(أحصيها)، التي دلت على العلم الدقيق ودقة الحساب، وقوله: (أوفيكم) كناية عن العدل التام، والالتفات من التكلم (أحصيها) إلى الخطاب (فليحمد) الذي كشف عن قمة العدل الإلهي، والطباق في قوله: (خيرًا ـ غير ذلك) ثنائية كاملة تحقق الغاية، وترمز إلى الهدف المقصود من العدل الإلهي، ودقة الحساب، وضآلة العمل البشري، فالمعاني تنسجم، وتنطلق كانطلاق الماء ونزوله من السحاب.

فالانسجام ـ في هذا المقام ـ يسهم في إبراز إثبات العدل الإلهي، وترسيخ المسؤولية الفردية، وتحقيق التوازن بين رجاء العبد وخوفه من خالقه، كما يسهم الانسجام في نفي الجبرية (الأعمال اختيارية)، فالحصر في قوله: (إنما هي أعمالكم) " إنما هو للجزاء في سببية الأعمال، أي: لا جزاء إلا عن عمل يكون سببًا له، أما الجزاء وزيادته وتضعيفه فالجميع من فضل الله عزَّ وجلَّ، إذ العبد وعمله ملك لسيده، لا يستحق عليه ثوابًا إلا تفضلًا"[1]، فالانسجام ساهم في إبراز حكمة عظيمة وهي (الجزاء من جنس العمل).

ومن بلاغة الانسجام ـ في هذا المقام ـ أنه يبرز مدى العاطفية والحب للمخلوق، فالله تعالى حذر في قوله: (أحصيها) ثم طمئن في قوله: (أوفيكم)، وقد رهب سبحانه من (المسائلة) ثم رغب في قوله: (حمدالله)، فالانسجام العاطفي كشف مضمون الرحمة والرفق للخالق سبحانه منذ البناء في قوله: (ياعبادي).

ومن بلاغة الانسجام ـ في موضع الدراسة ـ أنه يتآزر مع الانسجام السياقي في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2]، وقوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[3]، وينسجم ويتكامل مع سلسلة الحديث القدسي (ياعبادي) في بيان العدل الإلهي، فالنص ـ

١- ينظر: التعيين في شرح الأربعين (ص:١٩٣).

٢- سورة الزلزلة، الآيتان (٧، ٨).

٣- سورة غافر، الآية (١٧).

محل الدراسة ـ يمثل ذروة الانسجام؛ لأن التكامل بين الحساب والجزاء، يمثل دقة التصوير، والتوازن بين الثواب والعقاب، يعد إنصافًا كاملًا، والترابط بين الألفاظ والكلمات، يمثل وحدة عضوية، والتأثير المزدوج للسامع يعد ترغيبًا وترهيبًا، فالانسجام يتدفق من الألفاظ، تراه متلاحمًا مترابطًا كالبنيان المرصوص.

وفي الختام جاء البيان النبوي الشريف في مجمله ومقامه يدل على تعلق الكلمات وانحدار بعضها ببعض وبناء بعضها على بعض، وأن كل لفظة منها بسبب من صاحبتها[1]، ومن ثم انسجام المعاني وتدفقها وانحدارها، فالبيان الشريف بدأ ببيان عدل الله تعالى: (حرمت الظلم على نفسي) كأساس أخلاقي، ثم انتقل إلى تحذير العباد من الظلم (فلا تظالموا)، ويختم ببيان العدل في الحساب (إنما هي أعمالكم أحصيها لكم) مما يشكل بناء حجاجيًا قويًا، وترتيبًا منطقيًا حكيمًا، وفي العبارة الأخيرة (فمن وجد خيرا، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) تظهر حكمة بالغة؛ حيث يرجع الفضل إلى الله تعالى عند الخير، ويحمل الإنسان مسؤولية الشر، مما يعكس التوازن الدقيق بين التوكل والجهد البشري، فجملة (فمن وجد خيرًا ...) تعتبر من جوامع الكلم؛ لأنها جمعت بين الحمد والمسؤولية في عبارة موجزة، فالحديث القدسي ـ محل الدراسة ـ يمثل نموذجًا فريدًا للبلاغة النبوية والإعجاز البياني، فقد أظهر كيف أن الكلمات الإلهية تصاغ بأبلغ أسلوب، مع إحكام في الترتيب ودقة الدلالة، مما جعلها قادرة على مخاطبة العقول والقلوب.

١– ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تح/ياسين الأيوبي (ص:١٠٠)، ط١، المكتبة العصرية، بيروت.

الخـاتـمــة

الحمد لله الذي تتم به الصالحات الطيبات، وأصلي وأسلم على خير الأنام، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فبعد رحلة طيبة مع حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه عن ربه سبحانه من حديث: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي" ظهر لي بعض النتائج التي من أهمها:

- الانسجام البلاغي هو أحد أهم أسس جودة النص وفاعليته البلاغية، وقد تحقق التناسق والتآلف بين جميع عناصر النص الشريف، ومستوياته اللغوية، والفكرية، والجمالية؛ لغرض تواصلي واحد، وإحداث الأثر المنشود في المتلقي.
- لم يحظ الانسجام بكثير دراسة في الدرس البلاغي، فحديث البلاغيين عنه قد قل، وإشارتهم عنه خاطفة، والمهم توظيف هذه الإشارات في الدرس البلاغي، والاستفادة منها في إبراز مفهوم الانسجام.
- أن هذا الحديث يشبه ـ في انسجامه ـ محيطًا لا ساحل له، فألفاظه كأمواج متلاطمة، تنساب بانسيابية، ومعانيه كأعماق سحيقة تتراكب طبقاتها، وغايته كاللؤلؤة التي تتشكل في لوحة هذا التركيب البديع.
- تحقق الانسجام البلاغي ـ في البيان الشريف ـ الكامل الذي جمع بين الوحدة الموضوعية، والتناسق اللفظي، والعمق العاطفي، والإحكام التركيبي.
- أكد الانسجام عدل الله المطلق ونزاهته سبحانه في قوله: (إني حرمت الظلم على نفسي)، ونقل هذا الحكم إلى العلاقات البشرية في قوله: (وجعلته بينكم محرمًا)، فهنا اتحاد بين التنزيه الإلهي والعدل الاجتماعي، فالله لا يظلم؛ لأنه منزه عن النقص، والخلق مأمورون بالعدل؛ لأن الظلم يناقض حكمته.
- الانسجام أمر معنوي، تناسقت فيه الأفكار والموضوع بشكل منطقي ومتسلسل، وعدم وجود تناقض أو تشتيت، وقد فار المعنى من اللفظ، وقد تم

توظيف الأساليب البلاغية في الحديث محل الدراسة؛ لإبراز المعنى وإظهاره، وقد تضافرت هذه الأساليب البلاغية بما يساعد على تحقيق انسجام المعنى وتدفقه، وترابطه، وتلاحمه كتلاحم الماء بعضه ببعض.

- تناسقت المشاعر والأحاسيس من خلال الجو العاطفي الذي ظهر من النداء في قوله: (ياعبادي) فهو محور الحديث، ومنه تفرع المعنى وانسجم، وانتظم كانتظام الماء ونزوله من السحاب.
- تناسق الصور البلاغية في خدمة الفكرة والغرض المطلوب دون تكلف أو صنعة، ما جعل الرسالة واضحة ومقنعة وسهلة الوصول للمتلقي.
- الوحدة العضوية في البيان الشريف، ساعدت على منع التشتت، ومنح المتلقي شدة الانتباه التي تساعده على الوصول نحو الهدف الرئيس، فكل كلمة تخدم فكرة تكمل الأخرى.

وفي الختام أوصي بدراسة الاهتمام بدور الانسجام وتطبيقه في القرآن الكريم، والبيان النبوي الشريف، والشعر الفصيح، وعدم الاقتصار على علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع) فالبلاغة لا تنحصر في علم، وإنما تنطلق منه إلى آخر، كانطلاق الماء ونزوله من السحاب، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم جل من أنزله.

١. الأذكار لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد (عز الدين ابن الأثير)، تح/علي محمد معوض ـ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية (١٤١٥هـ/١٩٩٤).

٣. أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

٤. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، ط٨، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م).

٥. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تح/محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت.

٦. البديع في نقد الشعر لأبي المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن منقذ، تح/د. أحمد أحمد بدوي، د. حامد عبد المجيد، ط، الجمهورية العربية المتحدة، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

٧. بلاغة الانسجام في حديث "إن الحلال بين وإن الحرام بين" للعمار فهد بن محمد فهد، حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، سنة (٢٠٢٢م).

٨. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع، تح/د. حفني محمد شرف، ط، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

٩. التعيين في شرح الأربعين لسليمان الطوفي الصرصري، تح/ أحمد حَاج

محمّد عثمان، ط١، مؤسسة الريان، بيروت(١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
١٠.التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، تح/د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، ط١،مكتبة دار السلام، الرياض(١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).
١١.تيسير مصطلح الحديث لأبي حفص محمود طحان النعيمي، ط١٠، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م).
١٢.جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لزين الدين الحنبلي، تح/شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت،(١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
١٣.دلالات التراكيب دراسة بلاغية أ.د/محمد محمد أبوموسى، ط٣، مكتبة وهبة (٢٠١٤م).
١٤.دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني، تح/ محمود شاكر، ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، وتح/ياسين الأيوبي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت.
١٥.الرسائل الأدبية لعمرو بن بحر الجاحظ، ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت (١٤٢٣هـ).
١٦.زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط،٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤١٥هـ /١٩٩٤م).
١٧.سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي، ط١، دار الكتب العلمية (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).
١٨.سنن الترمذي، تح/أحمد محمد شاكر وآخرون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م).
١٩.سنن الدارمي، تح/حسين سليم أسد الداراني، ط١، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، (١٤١٢هـ / ٢٠٠٠م).
٢٠.شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية لتقي الدين أبو الفتح،

المعروف بابن دقيق العيد، ط٦، مؤسسة الريان (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
٢١.شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تح/د. عبد الحميد هنداوي، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).
٢٢.شرح مصابيح السنة للإمام البغوي لمحمد عزالدين، المشهور بـ ابن المَلَك، تح/ نور الدين طالب، وآخرون، ط١، إدارة الثقافة الإسلامية (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).
٢٣.طبقات الفقهاء لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تح/إحسان عباس، ط١، دار الرائد العربي، بيروت (١٩٧٠م).
٢٤.الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلويّ، ط١، المكتبة العصرية، بيروت (١٤٢٣هـ).
٢٥.الفتح المبين بشرح الأربعين لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، عني به/أحمد جاسم محمد المحمد، وآخرون، ط١، دار المنهاج، جدة (١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م).
٢٦.فتح المنعم شرح صحيح مسلم للدكتور/موسى شاهين لاشين، ط١، دار الشروق (١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م).
قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لمحمد جمال الدين القاسمي، ط، دار الكتب العلمية، بيروت
٢٧.كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تح/د مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، ط، دار ومكتبة الهلال، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.
٢٨.كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، تح/ د.عبدالحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

٢٩.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تح/عدنان درويش – محمد المصري، ط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٠.لسان العرب لمحمد بن منظور الأنصاري، ط٣، دار صادر ، بيروت (١٤١٤هـ).
٣١.مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح/شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة (١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م).
٣٢.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمسلم بن الحجاج، تح/محمد فؤاد عبد الباقي، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.
٣٣.مصطلح الحديث لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط١، مكتبة العلم، القاهرة(١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
٣٤.معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).
٣٥.معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس القزويني، تح/عبد السلام محمد هارون، ط، دار الفكر(١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).
٣٦.مفتاح العلوم للسكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
٣٧.هامش عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، د/عبد الحميد هنداوي،ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).
٣٨.وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، (٧/٣)، ط١، دار الكتب العلمية، ط١، (١٤٢١هـ /٢٠٠٠م).

فهرس الموضوعات

الموضوع.	رقم الصفحة
ملخص البحث.	١٥٤٣
المقدمة.	١٥٤٥
التمهيد: أولًا: تعريف الانسجام وبلاغته. ثانيًا: فضل حديث "إني حرمت الظلم على نفسي".	١٥٥٠
المبحث الأول: الانسجام وهدفه في البيان النبوي الشريف.	١٥٥٦
المبحث الثاني: الانسجام وبلاغته في حديث"يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي".	١٥٦٠
الخاتمة.	١٥٨٩
المصادر والمراجع.	١٥٩١
فهرس الموضوعات.	١٥٩٥